بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قواعد شرعية في التعامل مع قرار المحكمة الدولية

1)بيان الحكم الشرعي في العلاقة بين الحاكم والمحكوم

لا بد للناس من إمام، ولا يصلح أمرهم إلا بوجود إمرة برَّة أو فاجرة، وإمام غشوم خير من فتنة تدوم، ولا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم، يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "إن الدنيا والأمن على الأنفس والأموال لا ينتظم إلا بسلطان مُطاعٍ، وهذا تشهد له شاهدة أوقات الفتن بموت السلاطين والأئمة، وأن ذلك لو دام ولم يُتدارك بنصب سلطان آخر مُطاعٍ دام الهَرْجُ، وعمَّ السيف، وشمل القحط، وهلكت المواشي، وبطلت الصناعات، وكان كلُّ من غَلَبَ سَلَبَ، ولم يتفرّغ أحد للعبادة والعلم ــ إن بقي حياً ــ". والأكثرون يهلكون تحت ظلال السيوف، ولهذا قيل: "الدين والسلطان توأمان"، وقيل: "الدين أُسٌّ، والسلطان حارس، وما لا أُسَّ له فمهدومٌ، وما لا حارسَ له فضائعٌ"[1].

إن من أوجب الواجبات على الدعاة وأهل العلم في أيامنا هذه التي تكالبت علينا فيها الأمم أن يبيّنوا للناس واجباتهم تجاه حكامهم،وحقوقهم على رعاتهم، حتى يسلم كل امرئ مسلم من الغلو والتقصير ما بين أناس يريدون أن يؤلهوا الحاكم فلا ينتقد ولا يؤمر ولا ينهى ولا ينبه على خطئه، وآخرين لا همَّ لهم إلا ذكر مثالب الحكام وتتبع زلاتهم وزرع الكراهية في نفوس الرعية تجاههم، ولربما مالئوا العدو الكافر على أخيهم المسلم بدعوى أنهم قد نالهم شيء من ظلمه، وهم لا يدرون أن في ذهاب السلطان ذهاباً لمصالح الدين والدنيا، {ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه} فلا بد من ذكر الحقائق الشرعية في هذا الباب، ومن بينها:

1) السمع والطاعة لهم في المنشط والمكره، والعسر واليسر، في غير معصية.

([1]) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد (135).

2) عدم منازعتهم فيما ولاهم الله من أمر المسلمين، بل نعتقد أنهم في بلاء، وندعو لهم بالمعافاة.

3) الوفاء ببيعتهم، وعدم إعانة الخارجين عليهم؛ قال الإمام القرطبي: "لو خرج خارجي على إمام معروف بالعدالة وجب على الناس جهاده، فإن كان الإمام فاسقاً والخارجي مظهراً للعدل لم ينبغ للناس أن يسرعوا إلى نصرة الخارجي حتى يتبين أمره فيما يظهر من العدل، أو تتفق كلمة الجماعة على خلع الأول؛ وذلك أن كل من طلب مثل هذا الأمر أظهر من نفسه الصلاح حتى إذا تمكن رجع إلى عادته من خلاف ما أظهر"[2]

4) بذل النصيحة لهم في رفق ورحمة، مع توقيرهم ومعرفة حقهم.

5) عدم متابعتهم في الباطل وتزيين المنكر لهم، بل لا بد من الإنكار عليهم ـ بالطرق الشرعية ـ وبيان الحق لهم، والحرص على أمرهم بالمعروف.. عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد بريء، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع))، قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: ((لا، ما صلوا)).

6) أداء الصلاة معهم وراءهم ما داموا مسلمين.

7) هذه الطاعة ليست قاصرة على صنف من الحكام البررة ذوي النسب الشريف، بل هي لكل من ولي أمر الأمة مسلماً، براً كان أو فاجراً، شريفاً أو وضيعاً.

2)بيان الحكم الشرعي في التمرد على سلطان الدولة

إن الخروج على سلطان الدولة المسلمة من كبائر الذنوب التي حذر منها رسول الله ﷺ حيث ثبت عنه أنه قال {مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا} متفق عليه من حديث أبي موسى وعبد الله بن عمر، وثبت عنه ﷺ أنه قال {مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ} رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما

[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 1/ 273

{من رأى من أميره شيئاً فكره فليصبر؛ فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية} رواه مسلم، وفي مسند أحمد ومعجم الطبراني الكبير {من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية ومن مات ناكثاً للعهد جاء يوم القيامة لا حجة له}

وإذا تأمل المسلم في أحداث التاريخ القديم والمعاصر يجد أن الخروج لا خير فيه، بل تترتب عليه شرور وآثام من سفك الدماء وإتلاف الممتلكات وإثارة الذعر وإشاعة الفوضى وتعطيل مصالح البلاد، مع ما فيه من الأضرار الاقتصادية والسياسية والأمنية والاجتماعية، وحسبك من شره ما يترتب عليه من قتل الأبرياء وترويع الآمنين. ومن كان في شك من ذلك فلينظر ماذا جنى المسلمون في دارفور من جراء التمرد الذي أوقد ناره ناس لا يرجون لله وقارا؟ هل عزت بلادهم أم ذلت؟ هل رخصت أسعارهم ورغد عيشهم؟ هل باتوا آمنين في ديارهم معافين في أبدانهم؟ إن كل منصف يعلم أن الخروج على سلطان الدولة ومد اليد للأجنبي الكافر ما أثمر إلا إحناً في النفوس وأحقاداً في القلوب، مع تمكن الكفار من البلاد والعباد وشيوع الفواحش وفتنة الناس في دينهم حيث انتشرت المنظمات الصليبية هنا وهناك، وصار بعض الناس يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل ولا حول ولا قوة إلا بالله. فهل هذا ما يرجوه من أيقظوا الفتنة ونفخوا في نارها؟ وهل كانوا يقدرون عاقبة جرمهم؟ إنهم إن كانوا يعلمون فتلك مصيبة المصائب القادحة في أصل إيمانهم، وإن كانوا لا يعلمون لكنهم مستدرجون فما أحراهم بأن يرجعوا إلى الله بتوبة صادقة، ويتنادوا إلى كلمة سواء؛ لعلهم يصلحون بعض ما أفسدوا

إن الحاكم طاعته واجبة فيما لا يخالف الشرع، وهي من طاعة الله تعالى، وما يصلح الله به أكثر مما يفسد، وقد قطع النبي ﷺ كل طريق للخروج عليه والتمرد على سلطانه، مادام وصف الإسلام باقياً في حقه {إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان}

والخروج على الحكام تترتب عليه من المفاسد والشرور ما لا يحصه إلا الله، والتاريخ خير شاهد، بل الواقع خير شاهد، فكم من دماء أريقت، وكم من مصالح عطلت، وكم من موارد أهدرت في هذا الطريق الوعر

3) بيان الحكم الشرعي في تسليم المسلم للكافر

إن حكم القرآن واضح في قول ربنا ﷻ [ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا] ولو أن مسلماً بالغاً ما بلغ من الإجرام والفساد فطالته يد كافر للنيل منه، ومحاكمته إلى قوانين الكفر لوجب على المسلمين نصره، وحرم عليهم إسلامه، وقد قال عليه الصلاة والسلام {انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً} وقال عليه الصلاة والسلام {المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره}

إنا لنربأ بكل مسلم عاقل أن يظن أن القوم غاضبون للدماء التي أريقت في دارفور ـ والتي نبرأ إلى الله تعالى منها ـ إن كانوا كذلك فأين غضبتهم مما فعله زعماء اليهود بالمسلمين في غزة وفي جنين وسائر مدن وبلدات فلسطين؟ أين هم من ملاحقة مصاصي الدماء من أمثال شارون وباراك وأولمرت؟ أين مهم من دك البيوت على رؤوس أهلها ورجم الناس بالصواريخ؟ وأين هذا المدعي ـ أوكامبو ـ من ملاحقة سيده الأمريكي بوش، وهو أكبر مجرم في تاريخنا المعاصر بما جنت يداه في العراق وأفغانستان؟ وهو بشهادة الغرب ـ في تقارير منظماتهم الحقوقية ـ قد قتل ـ على الأقل ـ نصف مليون إنسان في العراق وحدها ومائة ألف مدني في أفغانستان؟ وجرائمه ـ في العراق وأفغانستان ـ موثقة بالصوت والصورة الحية؟ وأين هو مما يحدث في معتقل جواتنامو الذي يمثل سبة في جبين الإنسانية؟ وأين هو من الجريمة الفرنسية الكريهة حين عمدت إلى خطف الأطفال السودانيين من تشاد، وترحيلهم إلى فرنسا وبيعهم هناك، ولما اكتشف أمرهم وحوكموا أوعزت فرنسا إلى عملائها بترحيل أولئك المجرمين إلى فرنسا بدعوى محاكمتهم هناك!! وأين هو من جرائم الحكومة الأثيوبية الصليبية ضد إخواننا في الصومال؟

ولنا أن نسأل أين هذه التهم من زعماء العصابات وقادة التمرد الذين يسرحون ويمرحون في بلاد الغرب وتتاح لهم وسائل الإعلام لينشروا إفكهم وأباطيلهم ويتاجروا بفتنة {لعن الله من أيقظها} وكانوا هم من أوقد نارها ونفخ فيها؛ حتى أتت على الأخضر واليابس، إن المنصف يعلم أن

هؤلاء المتمردين مشمولون برعاية دولية لأنهم يحققون لأعداء الإسلام والسودان ما عجزوا عن تحقيقه بغيرهم، من تمزيق وحدته وإهدار ثروته وإيقاع العداوة والبغضاء بين أهله

4)بيان تاريخ العلاقة بين المسلمين والهيئات الدولية

إن من العجب العجاب أن تطلب الأمم المتحدة بل تناشد البشير حماية العاملين من منسوبيها في السودان!! سبحان الله كيف يطلب ممن اتهم بالوحشية وممارسة الإبادة أن يحمي العاملين وأن يحقق الأمن والاستقرار؟ إن هذه الهيئة الظالمة ومثيلاتها ما كانت عوناً للمسلمين يوماً من الأيام، بل هي أداة بأيدي اليهود والصليبيين لإذلال المسلمين والإساءة إليهم والاعتداء على حقوقهم، وللأسف فإن كثيراً من ضعاف العقول يؤمِّلون فيها خيراً وينتظرون منها براً وقسطاً!! أليست هذه الهيئات الدولية هي التي أصدرت قرار تقسيم فلسطين وأعطت لنفسها الحق في تقرير مستقبل شعب دون الرجوع إليه؟ ماذا فعلت تجاه المجازر التي تعرض لها المسلمون في فلسطين والبوسنة والشيشان؟ أين قرارها الصادر قبل ستين سنة بإعطاء المسلمين في كشمير حق تقرير المصير ، وهو القرار الذي تمتنع الهند الوثنية من تنفيذه إلى يومنا هذا؟ ألم يقع احتلال العراق وأفغانستان والصومال تحت سمع هذه الهيئات الدولية وبصرها؟ ماذا صنعت لمنع هذه المظالم والقضاء عليها؟

والسؤال الذي ينبغي أن يطرح في مثل هذه الظروف: هل الأمم المتحدة تنتصر لقضايا المسلمين؟ وهل هي غاضبة حقاً لإنسان دارفور؟ وهل مشكلة دارفور حلها بأيديهم؟ ماذا صنعت مع المجرمين من أمثال بوش وبلير وشامير وغيرهم ممن طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد؟

5)من أغراضهم الخبيثة في استصدار مثل هذا القرار

- ✓ تلويث سمعة ومكانة رئيس البلاد وتعريضه للقيل والقال على مستوى دولي، حتى يشغل ـ بأجهزة الدولة ومؤسساتها ـ في الدفاع عن نفسه؛ وإثبات عكس ما اتهموه به؛ وتهمته أنه قد سعى في قمع تمرد مسلح خارج على سلطان الدولة، وفقاً

لمسئولياته كراع للبلاد والعباد، مع الإغفال الكامل لأكابر المجرمين ممن ملئوا الأرض ظلماً وجوراً وفساداً وبغياً لكنهم مرضي عنهم من الدوائر اليهودية والصليبية

- ✓ الإساءة إلى المسلمين وإذلالهم، وذلك حين يرون القادة والزعماء عرضة للاعتقال والتوقيف ولربما الإساءة والقتل ـ كما حصل مع صدام ـ فتترسخ في نفوسهم التبعية والمذلة والرضا بالدون، وأنهم وحكامهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا أمل في حياة عزيزة كريمة
- ✓ تخويف سائر الحكام من محاولة الاستقلال بالقرار؛ فإن البشير ما زال يرفض التطبيع مع اليهود، وما زال يرفع صوته بقول لا في وجه الغرب وأمريك، وهو الذي ما زال يرفع عقيرته بنداء الجهاد كلما دهم البلاد خطب، وما زال يحاول أن يجد لبلاده مكاناً بين الأمم العزيزة بتصنيع السلاح وتدريب الشباب ودعم مشاريع التنمية الحقيقية لا المدَّعاة، وهو الذي رفع صوته بالاحتجاج القوي على الرسوم المسيئة للنبي ﷺ حين صمت حكام العرب والمسلمين، وهو الذي طرد ممثل الأمين العام للأمم المتحدة، وهذه كلها ذنوب لا يمكن للمستكبرين أن ينسوها أو يغضوا الطرف عنها
- ✓ السعي إلى استئناس حكام المسلمين؛ بحيث لا يجرأ أحدهم على مواجهة أي تمرد يقع في بلاده أو فوضى يثيرها مشاغبون أو مغامرون، ما داموا ممدودين بحبل من الغرب وأمريكا؛ إذ هم فوق القانون ولا سلطان للحكومات عليهم، وهذه هي الفوضى الخلاقة التي طالما تحدثوا عنها وروجوا لها.
- ✓ تشجيع حركات التمرد للتمادي في غيها سعياً لتفكيك البلاد، وهذا ظاهر لكل ذي بصيرة في احتفائهم بقادة التمرد ومساعدتهم على ترويج أباطيلهم في بلاد الغرب؛ توظيفاً لمعاناة الناس في دارفور، مع أنهم فيما مضى زعموا ـ كاذبين ـ أنهم سيعاقبون من يرفض الانضمام لاتفاقية السلام الموقعة في أبوجا

- ✓ تهديد سيادة البلاد بتهديد قيادتها؛ حتى يغلوا أيديهم عن السعي في بسط العدل والأخذ على يد المفسدين؛ مما يفتح الباب واسعاً لشيوع الفوضى ليس في دارفور فحسب بل في السودان كله
- ✓ تعويض فشلهم فيما عولوا عليه سابقاً حين دعموا المتمردين الصليبيين في الجنوب سنين عدداً، ثم سعوا إلى فرض سيطرتهم على موارد البلاد بمنع استخراج البترول، وحاولوا إيقاد نار الحرب في كل مكان
- ✓ تعريض السودان للتفتيت والتجزئة بعزل أجزاء منه عن سلطة الحكومة المركزية، وفتح باب الملاحقة والاتهام أمام كل من يسعى لفرض هيبة الدولة وبسط سلطان الحكم

6) ما هي الحلول الشرعية في هذه النازلة الفاقرة؟

- ما نزل بلاء إلا بذنب ولا ارتفع إلا بطاعة ((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)) فلنسارع إلى الله تعالى بتوبة نصوح استمطاراً لنصره وطلباً لتأييده، وهو سبحانه على كل شيء قدير
- العمل على إصلاح عقيدة الناس حتى يعلموا يقيناً أنه ((لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)) وأن الأمم جميعاً لو اجتمعوا على أن يضروا أحداً من الناس فلن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وأن المتصرف في هذا الكون هو الله وحده لا شريك له ولا رب سواه؛ فليكن التعويل عليه والرجاء فيه والرهبة منه ﷻ
- زرع الأمل في قلوب الناس بتعليمهم أنه ((لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)) وأن الله تعالى قادر على أن ينصر من شاء بما شاء، وفي تاريخ الأولين لنا بصائر، فلا تقنطوا ـ أيها المسلمون ـ من رحمة لله، وابذلوا ما تستطيعون من جهد وخذوا بالأسباب حكاماً ومحكومين، وكونوا مع الله يكن الله معكم، واعلموا أن البلاء سنة الله في الأنبياء والصالحين ((ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض))

- إحياء شعيرة الجهاد في سبيل الله ﷻ بفقهه وآدابه وشروطه، وتشجيع الشباب على الانخراط في معسكرات التدريب؛ حتى يتقرر في الأذهان أن البلاد مستهدفة في دينها ومقدراتها، وأن الكل معرض للخطر في دينه وعرضه وماله، وليكن شعارنا: عش كريماً أو مت عزيزاً
- السعي إلى وحدة الصف وجمع كلمة المسلمين في هذه البلاد، وأن يكف كل من يتقي الله عن تتبع عورات إخوانه والسعي في الإيقاع بهم، وليبدأ بذلك قادة الجماعات والطوائف وليضعوا أيديهم في أيدي إخوانهم وليتذكروا قول ربهم جل جلاله ((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)) وقول نبيهم ﷺ {إن الله يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تتفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم}
- عدم اليأس من إيجاد الحل المناسب لمشكلة دارفور، ولنعول على أهل الحل والعقد من أبناء الإقليم ـ وما أكثرهم ـ من أهل العلم وحملة الفكر وأصحاب الرأي؛ خاصة بعدما أيقن الجميع أن الحرب دمار وخراب ولا مستفيد من ورائها إلا عدو الدين والوطن
- إصلاح العلاقة بين الشعب والرعية؛ فالمعوَّل عليه ـ بعد الله ـ هذا الشعب المسلم الصبور الذي بذل الغالي والنفيس من المهج والدماء والأموال، وصبر على لأواء الحياة وشظف العيش؛ طمعاً في حياة كريمة عزيزة لا يتسلط فيها كافر على مسلم
- رفع المعاناة عن الناس بإزالة المكوس التي أثقلت كاهلهم وجعلت عيشهم مراً، والسعي في كف شبح الغلاء وتوفير ضرورات الحياة في مطعم وملبس وعلاج حتى يجد كل مواطن حقه غير متعتع

- رد المظالم وكف الأذى عن الناس، وإيصال الحقوق إليهم، مع السعي الدءوب في إطفاء نار الفتن في سائر الأصقاع؛ حتى لا يجد الأعداء ثغرة ينفذون منها
- إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والضرب على يد المفسدين ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، إذ البلاء يأتي من قبل هؤلاء ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب))
- الأخذ على يد السفهاء ممن يعيثون في الأرض فساداً بإشاعة الفواحش وترويج الأباطيل وشغل الناس بسفاسف الأمور، وها نحن نرى ما تواجهه البلاد من خطر ومع ذلك فكثير من البرامج الإعلامية ـ مسموعة ومرئية ـ لا حديث لها إلا عن الغناء والطرب واللهو واللعب!
- حفظ أموال الشعب ومنع التلاعب بها وإقامة حدود الله ﷻ فيمن يأكلون أموال الناس بالباطل؛ حتى يشعر كل فرد بأن الناس أمام القانون سواء شريفهم ووضيعهم
- عدم التعويل البتة على المنظمات الهزيلة كالجامعة العربية فهؤلاء قد رضوا بالذل والهوان وهم لا يملكون لأوامر الغرب نقضاً ولا عصياناً، والجهد الذي يبذل معهم لا طائل من ورائه، وخير لنا أن يبذل فيما يعود علينا بالنفع

وبعد، فإنا على يقين بأن العاقبة للمتقين، وأن النصر من عند الله وحده، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم، فليكن أملنا في الله كبيرا، والله أكبر والعزة للإسلام.